بحوث

في اللغة العربية وآدابها

منهج القرآن التدريجي
ومدى تطبيقه تربويًا على اللغويات

تأليف
دكتور
عبد الرءوف محمد عثمان
أستاذ اللغويات المساعد
بكلية الدراسات الإسلامية والعربية
للبنين جامعة الأزهر - القاهرة

منهج القرآن التدريجى

ومدى تطبيقه تربويا على اللغويات

يقتضينا المقام هنا أن نتكلم على أنواع ثلاثة من التدرج كفكرة نفسية وعلاجية لمثل هذا العصر الذى نعيش فيه ونعايشه :

أولا : التدريج القرآنى : ويشمل فرعين : سلوكى واقتصادى .

ثانيا : التدرج الغائى : ويشمل فرعين كذلك : ما وصل اليه علماء التربية ، وما وصل اليه علماء النفس كذلك .

ثالثا : التدريج اللغوى : ويتناول تطبيق المنهج التدريجى على فروع اللغويات المتداولة : من نحو وصرف وما يتصل بهما من عروض وقافية .

أما التدريج القرآنى :

فهو منهج تشريعى تناول فيه القرآن عرض بعض المشكلات الدنيوية والعقدية (نسبة الى العقائد) بأسلوب يعجز البشر ـ كل البشر ـ عن محاكاته أو الوصول اليه ، فنراه يتبع الأسلوب الاستمالى فى تعديل السلوك الانسانى عند معالجته لمشكلة طغت على عقول العرب واستولت على جميع مشاعرهم ألا وهى الخمر .

فقد عمد القرآن الكريم فى أول الأمر الى استحسان الرزق والتجارة فى النخيل والأعناب اللذين هما أصل الخمر فى ذلك الحين ،

فقال جل شأنه : « **ومن ثمرات النخيل والأعناب تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا ان فى ذلك لآية لقوم يعقلون** »(١) .

ففرح العرب بهذه الآية ، بل وهللوا لها وقالوا مرحبا بالقرآن وبشرب الخمر معا .

ثم كانت المرحلة الثانية ، فبين القرآن فيها أن فى الخمر بعض النفع ولكن اثمهما أكبر من نفعهما ، فقال عز من قائل : « **يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما اثم كبير ومنافع للناس واثمهما أكبر من نفعهما** »(٢) .

فبدأ العرب يقلون من فرحهم وتهليلهم وبدءوا يفكرون كيف يكون ضرر الخمر أكبر من نفعها ؟ وهم قد ألفوها وأصبحت حياتهم لا تحلو الا بها ، وكان لابد من علاج لهذا الأمر ، فكانت المرحلة الثالثة ، وفيها تدرج القرآن الى درجة أشد حزما فى تنفير المسلمين الأوائل من شرب الخمر ، فحرم عليهم القرآن أن يقربوا الصلاة وهم سكارى ، وذلك فى الواقع تحريم لشرب الخمر والاقلاع عنها فى معظم أوقات اليوم ، اذ أن الصلوات الخمس تأخذ قسطا من النهار وقسطا من الليل وذلك يجعل الانسان فى حالة تأهب دائم للصلاة فلا يقرب الخمر ، فقال تعالى : « **يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون** »(٣) .

ثم كانت المرحلة الرابعة والأخيرة لتحريم الخمر فى هاتين الآيتين الكريمتين : « **يا أيها الذين آمنوا انما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون ، انما يريد**

---

(١) سورة النحل آية : ٦٧ .
(٢) سورة البقرة آية : ٢١٩ .
(٣) سورة النساء آية : ٤٣ .

الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء فى الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون »(٤) .

فقالوا انتهينا انتهينا ، وقام جل مسلمى المدينة يومها بالتخلص مما لديهم من الخمر بسكبها فى شوارع المدينة ، وبعضهم فهم الآية على هواه فقال : سأل ربنا (**فهل أنتم منتهون**) ولم يطلب الاجابة متناسين فى ذلك المعنى البلاغى وقالوا سكت فسكتنا .

ولو نزلت هاتان الآيتان فى مكة ، وفى بدء الدعوة الاسلامية لما كنا نتوقع أن يكون لهما فى نفوس المسلمين نفس هذا التأثير الذى أحدثتاه عندما نزلت فى المدينة فى وقت كان فيه الايمان قد استقر قويا فى قلوب المسلمين ، وفى هذا الصدد يروى عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت : « انما أول ما نزل منه (أى القرآن) سورة من المفصل فيها ذكر الجنة والنار حتى اذا ثاب الناس الى الاسلام نزل الحلال والحرام ، ولو نزل لا تشربوا الخمر ، لقالوا لا ندع الخمر أبدا ، ولو نزل لا تزنوا لقالوا لا ندع الزنا أبدا »(٥) .

وهناك مشكلة أخرى لا تقل أهمية عن مشكلة الخمر ألا وهى مشكلة الربا، وقد عمت به البلوى بعد أن أصبح عادة مألوفة ، انتشرت فى مجتمعنا بل وفى كل المجتمعات انتشار النار فى الهشيم ، وقد حار فى هذه العادة عامة الناس بله علماءهم الاقتصاديين وأصبحت تعرف بمسميات عدة من فوائد (بنكية) و (بريدية) و (تأمينية) وغير ذلك، وقد اتبع القرآن فيه الأسلوب التدرجى فى العلاج ، فكما حرمت الخمر على أربع مراحل كذلك حرم الربا ، ذلك الربا الذى كان متفشيا بين العرب فى الجاهلية قبل الاسلام ، فكانت المرحلة الأولى التى أظهر

---

(٤) سورة المائدة الآيتان : ٩٠ ، ٩١ .
(٥) فتح البارى بشرح صحيح البخارى : ج ١٩ ص ٤٨ .

الله جل وعلا فيها عدم رضاء عن الربا فقال : « **وما آتيتم من ربا ليربوا فى أموال الناس فلا يربوا عند الله** »(٦) .

وفى المرحلة الثانية نزلت آية كان فيها وعيد لليهود بسبب ممارستهم للربا وانتشاره فى مجتمعهم ، ولم تكن هذه الآية نصا صريحا فى التحريم ، وانما كانت تلويحا به ، قال تعالى : « **فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم وبصدهم عن سبيل الله كثيرا وأخذهم الربا وقد نهوا عنه وأكلهم أموال الناس الباطل وأعتدنا للكافرين منهم عذابا أليما** »(٧) .

وفى المرحلة الثالثة حرم الله تعالى الربا الفاحش المرذول الذى كان يمارسه العرب فى الجاهلية والذى كان يهدد الاقتصاد بكل أبعاده لما يجره من ويلات وأزمات اقتصادية طاحنة فنزل قوله تعالى : « **يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا أضعافا مضاعفة واتقوا الله لعلكم تفلحون** »(٨) .

وفى المرحلة الرابعة حرم الله تغالى الربا تحريما قاطعا فقال عز من قائل : « **الذين يأكلون الربا لا يقومون الا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان من المس ، ذلك بأنهم قالوا انما البيع مثل الربا وأحل الله البيع وحرم الربا فمن جاءه موعظة من ربه فانتهى فله ما سلف وأمره الى الله ، ومن عاد فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ، يمحق الله الربا ويربى الصدقات والله لا يحب كل كفار أثيم** » .

« **يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقى من الربا انكنتم**

---

(٦) سورة الروم آية : ٣٩ .
(٧) سورة النساء الآيتان : ١٦٠ ، ١٦١ .
(٨) سورة آل عمران آية : ١٣٠ .

مؤمنين ، فان لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله وان تبتم فلكم رؤوس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون »(٩) .

ولقد كانت الآية الأولى التى نزلت عن الربا وهى التى تشير الى عدم رضا الله سبحانه وتعالى عنه مكية ، أما الآيات الأخرى التى نزلت بعد ذلك فهى مدنية ، ومن ذلك يتبين **أثر التدرج** فى التحريم القاطع للربا ، وذلك أنه لم ينزل جملة واحدة بل نزل على فترات وكان تحريمه نهائيا بعد أن استقر الايمان فى قلوب المسلمين .

اذاً فالأسلوب الذى اتبعه القرآن فى علاج مشكلتى الخمر والربا هو التكوين التدريجى لاحلال النفور والكراهية فى النفوس بدلا من الميل والحب لهما . وبذلك استطاع القرآن أن يعالج بنجاح هاتين العاديتين وقويتين المستقرتين فى حياة العرب ، وأن يقضى عليهما بأسلوب مخطط غاية فى الدقة والحكمة .

ولقد نادى الآن عالمان غربيان بهذا الأسلوب(١٠) **التدريجى** للعلاج فى الوقت الحاضر هما : Joeseph Wolp-B. F. **Skincrer**

وما دريا أن هذا الأسلوب قد عرفه المجتمع الاسلامى قبل أربعة عشر قرنا من الزمان .

والسؤال الذى يطرح نفسه الآن لماذا لا نعود الى الأسلوب الاستمالى القرآنى (أو التدريجى) لمحاربة داءين قد استشربا واستفحل أمرهما وهما ادمان المسكرات والمغيبات والسموم البيضاء ، والفوائد الربوية ، وقد عرفا فى المجتمعات الأوربية بدائى Addiction and usary

---

(٩) سورة البقرة الآيتان : ٢٧٨ ، ٢٧٩ .

(١٠) مبحث للدكتور / محمد عثمان نجاتى : المشرف على مكتبة أصول علم النفس الحديث .

والذى لاشك فيه أنهما قد تسربا الينا من هذه المجتمعات البعيدة عن تعاليم الاسلام عن طريق التقليد الأعمى باسم الحضارة الزائفة والمستوردة ٠

حبذا لو استخدمنا فكرة التدرج كعلاج نفسى للادمان بأنواعه شدخينا ومغيبات ومخدرات ٠

فهل لنا أن نعود الى تعاليم الاسلام ؟ !! ليتنا نعود ٠٠ ليتنا !

٢ ـ التدريج الغائى :

ويقصد به استخدام ما وصل اليه علماء التربية أولا والنفس ثانيا فى وصول المعلومة اللغوية وغيرها الى ذهن الطفل فى مراحله المختلفة الى أن يصل الى دور الرجولة ٠

فقد توصل (ابراهام ماسلو) الى تصوير الدوافع فى شكل مسلسلة سباعية بدأها باشباع الحاجات الأولية كالجوع والعطش وانتهى منها الى الرغبة فى الجمال ، ولقد استعنا بهذا التدرج الغائى كحلقة أو وصلة الى ما نرنو اليه فى تحقيق هدفنا من تحبيب اللغويات الى نفوس الدارسين ، فانه ليحزننى اذا سألت طالب الثانوية العامة بعد خروجه من اللجنة عما فعله أن يقول لك أجبت عن كل شىء الا النحو ويعنى بذلك النحو وما يتصل به من اللغويات والتى يعتبرونها كالرياضيات وما دروا أن اللغة ظاهرة اجتماعية بعيدة كل البعد عن هذه الرياضيات ولكن العيب فينا نحن(١١) ٠

نعيب زماننا والعيب فينا

وما لزماننا عيب سوانا

---

(١١) فى مقال بجريدة الأهرام بتاريخ ١٩٩٢/١/١٧ تحت عنوان : **كيف نواجه الصعوبات النحوية ؟** يقول د٠ محمد بدوى : المختون ردا =

أما ما توصل اليه علماء التربية ازاء فكرة التدرج الغائى ، فيتلخص فى قواعد أساسية للفيلسوف الانجليزى (هربرت سبنسر) فى كتابه **Education** وهى قواعد معروفة منذ أيام بستالوتزى وهى صالحة حتى يومنا هذا .

أولا : التدرج من المعلوم الى المجهول :

فنبدأ بالبيئة التى يعيش فيها المتعلم ثم نتوسع بعد ذلك الى الأماكن المجاورة التى ترتبط ببيئته ، ولذا ينصح المربون دائما بأن يثير الأستاذ فى أول درسه ما عند طلابه من معلومات قديمة يمهد بها الى معرفة المعلومات الجديدة كأن تكون الأمثلة التى يسوقها الأستاذ فى درس القواعد مثلا من وحى البيئة أولا ثم يتدرج بهم الى ما حول البيئة وهكذا حتى يصل بهم الى آفاق بعيدة .

ثانيا : التدرج من السهل الى الصعب :

والمقصود هنا السهل والصعب بالنسبة للمتعلم نفسه ، ولكن يجب أن نحتاط فلا نعطى المتعلم الأشياء السهلة التى لا تحتاج الى اعمال فكر ، أو نعطى له المعلومات الصعبة التى يعسر عليه فهمها وانما نعتدل ونتدرج ، ففى درس مثل درس الاشتغال لابد أن يكون عند الطالب

=

على سؤال عن الصعوبات النحوية يقول (وهذا رأيه) :

شحن النحو بالمنطق والفلسفة وأمور بلاغية - سوء التاليف من النظم ثم الشرح مع النقل عن السابقين لكل ما جاء منهم دون تمحيص ، زد الى ذلك الحواشى والتقريرات ومثل ذلك المتون وشرحها - دمج الآراء الفردية المختلفة واعتبارها دون تمحيص أو موازنة بينها الا فى القليل - كثرة الشواهد وتعدد الروايات فيها والضبط وتخريج ذلك كله - شحن النحو باللهجات المتباينة ... تداخل الأبواب - رغبة العلماء فى التزيد بالاضافات ... كثرة المصطلحات النحوية ... - اختلاف النحاة في الحدود ... (بتصرف) .

فكرة عن المفعول به لما بينهما من علاقة وثيقة ، وفى درس الصرف نبدأ بأوزان الثلاثى المجرد ثم بأوزان الثلاثى المزيد وبالرباعى المجرد بعد ذلك ثم بالرباعى المزيد دون فصل بين الثلاثى ومزيده ، وكذا الرباعى ومزيده .

ثالثا : التدرج من البسيط الى المركب :

وتبنى هذه القواعد على أن العقل فى ادراكه للأشياء يدركها أولا ككل ثم يحاول بعد ذلك دراسة التفاصيل أى الأجزاء فاذا رأينا كرسيا مثلا أدركناه جملة وبعد ذلك أدركنا أجزاءه ، وهذا يتفق مع نظرية (الجشتالت) فى علم النفس ، ففى درس الهجاء للمبتدئين نبدأ بالكلمة ، وفى درس النحو نبدأ بالجملة .

وقد أحسن القدامى من النحويين صنعا عندما بدءوا كلامهم فى كتبهم بهذا العنوان (الكلام وما يتألف منه) فبدءوا بالكلام قبل الكلمة ، كأسلوب تدريجى تربوى .

رابعا : التدرج من المبهم الى الواضح المحدد :

فالمعلومات تكون فى البداية عامة مبهمة وغير محدودة ثم تتضح وتتحدد أطرافها ، فالزحافات والعلل فى درس العروض تبدو فى أول أمرها مبهمة عند سماعها ولكن عند تطبيقها عمليا فى البحور تكون واضحة ومحددة ، وكذلك الأمر فى أسماء حروف القافية وحركاتها لما فى هذه الأسماء من غرابة لكونها غير مألوفة كما سنرى ، اذ لنا وقفة فيما مثلنا به .

خامسا : التدرج من المحسوس الى المعقول :

فيجب أن نسير بالأمثلة الحسية الى المدركات الكلية المعنوية ، فان أول صلة للطفل تكون بحواسه فنبدأ فى تعليم اللغة بالأمثلة أى الجمل المقترنة بالحدث الذى يقابلها متبعين المقولة المعروفة (حاول

أن تعبر عن نفسك بالعمل بقدر الامكان) ثم ننتقل بعد ذلك الى استخلاص القواعد والقضايا اللغوية العامة ، على أنه لا يجب أن نجعل الوصول الى المعقول أو النظرية هو الغاية أو النهاية القصوى ، فان الوصول الى القواعد انما يتم باستخدامها وتطبيقها على الجزئيات الأخرى .

سادسا : التدرج من الجزئيات الى الكليات :

فمن الصعب على المتعلم أن يدرك الكليات أولا ، فاذا أعطينا للمتعلم هذه الأمثلة : يخشى ، يرمى ، يدعو ثم أدخلنا عليها الجازم وقلنا لم يخش ، لم يرم ، لم يدع ، ثم طلبنا منه أن يفرق بين هذه الأمثلة فربما يظن أن الأفعال الأولى معتلة بينما الثانية صحيحة ، لأنها خالية من حروف العلة ، ولكن يمكننا أن نصل بالمتعلم الى قاعدة كلية فحواها أن جميع هذه الأفعال بمجموعتيها معتلة أى قبل الجزم وبعده ، ونبين لهذا المتعلم أن الجازم أمر عارض أو طارىء(١٢) .

ويمكن الاستفادة من خلال التدريجين الأخيرين الخامس والسادس فى تكوين المعنى الكلى وذلك فى أربع خطوات :

١ - الادراك الحسى والملاحظة (**Perceptoin**) فى تصور المفردات الجزئية الخارجية ، وهذا الادراك يختلف عن الادراك العقلى **Conception** الذى هو عملية تصور المعانى ، والأفكار العامة التى ترمز الى الأشياء .

٢ - الموازنة : وفى هذه المرحلة يقارن المتعلم بين ما يراه من أشكال مختلفة ثم يدرك ما بين هذه الأشكال المختلفة من صفات مشتركة ففى جمع التكسير مثلا نعطى المتعلم جموعا مختلطة تجمع بين

---

(١٢) الموجه الفنى للأستاذ : عبد العليم ابراهيم (بتصرف) .

جموع الكثرة والقلة ، وعن طريق الصفات المشتركة للأوزان يمكن تمييز كل جمع على حدة .

٣ - التجريد : وهو عزل أو انتزاع بعض الصفات المشتركة بين أفراد صنف من الأشياء أو الكلمات المفردة كما فى درس من دروس فن الصرف وتوجيه الانتباه الى هذه الصفات المنتزعة دون غيرها .

٤ - التعميم : وهى عملية نصل بها الى فكرة عامة من خبرات متنوعة ، ونصل بها الى حكم عام(١٣) ، وبالتعميم نصل بعد عرض الأمثلة الى تعريف جامع مانع للقاعدة العامة .

٣ - التدرج اللغوى :

ويقصد به استعمال أو استخدم فكرة التدرج فى علوم اللغة من أدب وبلاغة وأصول لغة بعامة ، وفى اللغويات بخاصة ، وسنتناول ثلاثة من علوم اللغويات نأخذها بالتدرج كل على حدة بدءا بسيد اللغويات الا وهو النحو بما له من مدارس متعددة من بصرية وكوفية وبغدادية ومصرية بمؤلفاته التى تفوق الحصر ، وهو أنواع عديدة متدرجة هكذا حسب أهميتها :

(أ) النحو الوظيفى(١٤) :

ويعتمد على الوضع الاعرابى الأول للكلمة ويهمل المتممات الناتجة عن البناء أو المحل أو علامات الاعراب .. الخ ، وفيه ابراز لمقصود الوظائف الاعرابية الأساسية للاسم والفعل والحرف مع اهمال الأوضاع الخاصة المتأتية من وجود الكلمة الواحدة تحت تأثير عاملين أحيانا ، والغاية منه مساعدة القارىء أو الدارس نحويا ودلاليا دون

---

(١٣) أصول علم النفس للدكتور أحمد عزت راجح ، بتصرف .
(١٤) المجزي من نحو العربية : لكاتب هذا البحث .

انقطاع فى حبل تفكيره وهو يتابع معنى النصوص ، وسنتناول هذا النحو بشى من التفصيل لأهميته بعد أن ننتهى من السرد التدريجى لأنواع النحو .

(ب) النحو التحليلى (١٥) :

وهو مظهر من مظاهر النحو التطبيقى اذ به يتبين لنا فهم الدارس للقاعدة النحوية ، تماما كما اذا فهم الدارس النظرية الهندسية فانه يستطيع أن يحل عليها التمارين أية تمارين مهما صعبت وأن يربط كذلك بين هذه النظرية وسابقتها ثم بينها وبين لاحقتها ، واليك مثالا مبسطا يبين لك الفرق بين الوظيفى والتحليلى فاذا قلنا : ان محمدا عالم نرى النحو الوظيفى يقول (ان) حرف توكيد مشبه بالفعل بينما التحليلى يقول (ان) حرف توكيد مشبه بالفعل ناصب للاسم رافع للخبر و (محمدا) فى النحو الوظيفى اسم ان ، وفى التحليلى اسم ان منصوب بالفتحة الظاهرة على آخره .

و (عالم) فى النحو الوظيفى خبر (ان) ، وفى التحليلى خبر (ان) مرفوع بالضمة الظاهرة على آخره .

(جـ) النحو الاحصائى :

عنى النحويون بالفعل وركزوا عليه الأضواء لأن الفعل هو كلمة وجملة فى آن واحد ، فاذا أردنا احصاء الأفعال فى فاتحة الكتاب مثلا نجد أن الفعل الماضى هو (أنعمت) والمضارع (نعبد ، نستعين)

---

(١٥) المرجع السابق .

والأمـر (اهدنا) وتكون النسبة المئوية للأفعـال هكذا :

للمـاضى	للمضـارع	للأمـر
١ / ٤ = ٢٥٪	٢ / ٤ = ١ / ٢ = ٥٠٪	١ / ٤ = ٢٥٪

وهـذا النوع من النحو قد يستفاد منـه فى صـورة متقدمة عن هذه التى رأيناها فى فاتحة الكتاب كأن يطلب من الدارس سرد اسم الاشـارة بجميـع أنواعه أو الاسم الموصول كذلك فى ديوان الحماسة لأبى تمـام مثـلا كما فعـل معنا المرحوم الأستاذ الدكتور رفعت فتح الله فى السـنة الأولى من دراسة المـاجستير ، ولقد استفدنا كثيرا من هـذه العمليـة لمـا فيها من مسح ميدانى قد يرينا دقائق لم نألفها من قبل لولا هذا المسح.

(د) النحـو النصى :

ويقصـد به النحـو التراثى ، وقد أحسنت بعض الكليات ومنهـا كلية الدراسات الاسـلامية والعربية اذ جعلت لهذا النحو ولغيره من العلوم نصيبا ، بل وخصصت للقسم النصى أستاذا وللتحديثى أستاذا آخر للمادة الواحدة ليتعود الطلاب على هـذا النـوع ، فان اعتماد الطـلاب على المذكـرات التى يكتبها الأساتذة مع أن فيهـا افادة عظيمـة لهم ، لكن لا يبذل الطالب فيهـا جهدا كبيرا ، ولكن الجمـع بين المذكـرة للأستاذ والنص من كتب التراث يجعـل الطالب ذا فكر واع لمـا كتبه السابقون ، وذا عقـل خـلاق بما يكتبه اللاحقون ، فاذا رجعت الى حاشية الصبان على شرح الأشمونى فى باب اسم الاشـارة مثـلا وجدت جدولين أحدهما للمحشى والآخـر للشـارح بعدهما تنبيه وخاتمة(١٦) ، وقلما تجد مثل

(١٦) ص ١٤١ ، ١٤٣ ، ١٤٤ ، ١٤٥ ، ١٤٦ ، طبعـة دار احياء الكتب العربية ، عيسى البابى الحلبى وشركاه .

ذلك فى النحو التحديثى واليك ما قيل فى هذه الخاتمة على سبيل التشويق لهذا النحو من النحو :

(خاتمة) يفصل بين التنبيه وبين اسم الاشارة بضمير المشار اليه نحو : ها أنا ذا وها نحن ذان ، وها نحن أولاء ، وها أنا ذى ، وها نحن تان ، وها نحن أولاء ، وها أنت ذه ، وها أنتما تان ، وها أنتن أولاء ، وها هو ذا ، وها هما ذان ، وها هم هؤلاء ، وها أنت ذا ، وها أنتما ذان ، وها أنتم أولاء ، وها هى تا ، وها هما تان وها هن أولاء ، وبغيره قليلا نحو : ها ان ذى عذره .

وقد تعاد الهاء بعد الفصل توكيدا نحو « ها أنتم هؤلاء »(*) ، والله أعلم .

ولكى نستفيد من فكرة التدرج التى هى عصب هذا البحث نبدأ أولا بما كتب فى مذكرة الأستاذ ثم نتبعها بالنص عملا بما ذكرناه سابقا (لهربت سبنسر) من التدرج من السهل الى الصعب .

(هـ) **النحو الفلسفى :**

الأصل فى النحو أن يكون لتقويم اللسان ، ولكن بعد أن اختلط النحو بالمنطق ثم بالفلسفة أصبح لتقويم الجنان كذلك ، وليس هذا فحسب بل أصبح النحو يعد من بعض الحالات من مقاييس الذكاء مما جعل الدارسين يرغبون عنه بدلا من أن يرغبوا فيه .

تقول الدكتورة منى الياس(١٧) : « علاقة اللغة بالمنطق انما

(*) ويؤيد قوله تعالى : (ها أنتم هؤلاء حاججتم فيما لكم به علم) آل عمران : ٦٦ ، وقوله من سورة النساء : ١٠٩ : ها أنتم هؤلاء جادلتم فى الحياة الدنيا) ، وقوله فى سورة محمد : ٣٨ (ها أنتم هؤلاء تدعون لتنفقوا فى سبيل الله) .

(١٧) انظر ص ١١٩ من كتابها : القياس فى النحو مع تحقيق باب الشاذ من المسائل العسكريات لأبى على الفارسى ، طبعة دار الفكر .

تظهـر فى كون اللغـة حاملة للمعنى ، وتعبر عن الفكر الانسـانى ، ومن هنا تنشـأ الصـلة بينها وبين المنطق باعتبـار المنطق يبحث فى قوانين الفكر الذى يعبر عنـه باللغـة ، بل ان من مؤرخى الفلسفة من يرجـح أن المنطق باعتبـاره علمـا ، انما نشـأ فى كنف النحو المعبر عن نظام اللغـة ، وأن أرسطـو قد تأثر بأبحاث النحـويين الاغـريق في وضـع منطقـه »(١٨) .

وهكذا نرى المـزج بين النحو والمنطق والفلسفة وتأثر كل ثلاثتهـا بالآخـــر .

بل أن أرسطو قد تأثر بالنحو فى وضـع منطقه ، ولقد نمت هـذه الفكرة فاستعمل النحويون مبدأى التعليل والقيـاس ، مما جعل ابن مضاء القرطبى يثور على النحويين لتحـريره مما علق به ، فنراه يحمـل عليهم تصـورهم الواهم ، اذ يجعـل العوامل اللفظية والمعنوية هى التى تعمل الرفـع والنصب والجـزم ، فيقول : « أما القول بأن الألفـاظ يحـدث بعضها بعضـا فباطل عقـلا وشرعا لا يقول به أحد من العقـلاء لمعـان يطول ذكـرها فيما القصد ايجـازه »(١٩) .

وابن مضـاء فى كل ذلك انما يتكىء على ما أورده ابن جنى فى خصائصه ومفـاده : ان العمـل مع الرفع والنصب والجـر والجـزم انما هو للمتكلم نفسـه لا لشىء غيره(٢٠) .

لم ينكر ابن مضـاء أن النحويين قد بلغوا بصناعتهم الغـاية التى أتوا وانتهوا الى المطلوب الذى ابتغوه ، وهو حفظ كلام العـرب من اللحن وصيانته من التغيير الا أنهم كما يقـول فى الصناعة وعللها « تجـاوزوا فيها القدر الكافى فيما أرادوه منهـا فتوعرت مسالكها ووهنت مبانيهـا

(١٨) مما ورد فى المنطق الصورى والرياضى ، ط الثانية ، ١٩ .
(١٩) كتب الرد على النحـاة : ص ٨٧ .
(٢٠) الخصائص لابن جني : ١/١١٠ .

وانحطت عن رتبة الاقناع حججها حتى قال شاعر فيها :

ترنو بطرف ساحر فاتن أضعف من حجة نحوى

وقد ألف النحاة ومنهم أبو القاسم الزجاجى المتوفى سنة ٣٣٧ هـ فى العلل النحوية ، وكتاب الزجاجى (الايضاح فى علل النحو) جد مشهور فتراه يعقد فى كتابه بابا باسم (باب القول فى الاسم والفعل والحرف أيهما أسبق فى المرتبة والتقدم) ، ثم يتبعه بآخر بعنوان : « باب القول فى الأفعال أيها أسبق فى التقدم »(٢١) .

ونرى الزجاجى فى موطن آخر من كتابه يعقد بابا بعنوان : (باب ذكر علة ثقل الفعل وخفة الاسم) وآخر بعنوان : (باب علة امتناع الأسماء من الجزم) وأخيرا وليس آخرا « باب ذكر علة امتناع الأفعال من الخفض »(٢٢) ويأخذنا هذا التدرج الى نهايته فنختمه بنحو من الترف العلمى وهو :

(و) نحو الأحاجى :

ويعبر عنه بنحو الألغاز أيضا كأن تسأل وتقول ما الفعل الذى اذا أثبته نفيته واذا نفيته أثبته والذى يقول فيه المعرى ملغزا :

اذا نفيت والله أعلم أثبتت وان أثبتت قامت مقام مجحود

مشيرا بهذا البيت الى الفعل (كاد) ، وقد ذكر ذلك البخارى عند شرح الحديث رقم ٥٩٦ يقول : حدثنا معاذ بن فضالة قال حدثنا هشام عن يحيى عن أبى سلمة عن جابر بن عبد الله : « أن عمر ابن الخطاب جاء يوم الخندق بعدما غربت الشمس فجعل يسب كفار قريش ، قال يا رسول الله ما كدت أصلى العصر حتى كادت الشمس تغرب ... » قال اليعمرى لفظة (كاد) من أفعال المقاربة ، فاذا قلت كاد زيد يقوم فهم منها أنه قارب القيام ولم يقم(٢٣) .

---

(٢١) الايضاح فى علل النحو ، تحقيق : د. مازن المبارك ص ٨٣، ٨٥.
(٢٢) المرجع السابق : ص ١٠٠ ، ١٠٢ ، ١٠٧ .
(٢٣) فتح البارى بشرح صحيح البخارى: جـ ٢ ص ٩٨، ٩٩.

وقد تغـرق فى الالغـاز فتطلب من محدثك أن يقرأ لك هذا البيت :

ان هنـد المليحـة الحسناء وأى من أضمـرت لخـل وفاء

فبالطبع يقرأ لك البيت على (ان) حـرف توكيد ونصب فتقول له لا يا أخى (ان) فعـل أمـر من (وأى) بمعنى وعد ومنه الحديث : يقـول الله تعـالى :

« انى قد وأيت على نفسى أن أذكـر منذكـرنى »(٢٤) ، وبدليل أول الشطر الثـانى حيث ذكـر مصدر الفعـل (وأى) والفعـل لفيف مفروق مثـل وقى ، وعى ، فكما تقـول فى الأمـر منهما ق ، ع ، فتقول فى الأمـر من (وأى) اثم تؤكده بنون التوكيد الثقيـلة فيصبح الفعل (ان) ثم يقـرأ لك (هنـد) على أنها اسم ان فتقـول له (ان) فعـل أمـر كما أسلفت ، وهند مرفوعة لأنهـا منـادى حذف منـه حـرف النـداء والتقدير يا هند ... ثم يقـرأ لك المليحة الحسناء منصوبتين لفظا وصفتين لهند على أنها اسم ان ، فتقول له لا : اننـا اعتبرنا لفظ (هند) منادى وهاتان الصفتان منصوبتان على المحـل لأن (هند) منـادى مبنى على الضم فى محل نصب(٢٥) . وليست (ان) فى البيت حرفا ناسخا .

وقـد ألف السيوطى وغيره فى هـذا النـوع من النحـو ، ومن النحويين من يستعمل اصطلاحات النحـو فى غير موضعها تفكهـا غير مطلوب يقصدون بذلك شيئا آخـر فى نفوسهم فيسأل بعضهم كيف الحال ؟ فيرد عليه زميـله الحـال منصـوب دائمـا ، وكقولك من ذلك النحـو وقـد رأيت من تطيش يـده فى صـفحة الطعـام تقول له مازحـا (كل حـذاءك) و (الله ينعلك) تقصـد كل من أمـامك لأن (حـذاء) مثل

---

(٢٤) انظر المعجم الوسيط : ص ١٠٠٧ .
(٢٥) والدليل على (ان) من وأى صدر الشطر الثاني .

(ازاء) ظـرف مكان مبهم و (الله ينعلك) دعـاء له (لا عليـه) بنعل جـديد (٢٦) ٠

هـذا التـدرج فى أنواع النحـو يجب أن يراعى عنـد تقـديمه للدارس بدءا بالوظيفى أنفعهـا وختاما بنحـو الأحـاجى أرفعهـا والا يصبح النحـو شـبحا مخيفـا وعـدوا ماثلا أمـام الدارس أو المتعـلم وذلك حسب سنى كل بمـا يلائمـه ، ومادام الوظيفى هو الأنفـع فلنأخذه اذاً بفكـرة من التـدرج التفـريدى بعـد أن تناولنـاه بالتـدرج النـوعى أولا ، فعنـد تدريس النحـو الوظيفى وعـادة يكون للمبتدئين نمزج بين قواعـد الامـلاء وقواعـد النحـو ، وبخاصـة فى الهمزات والألف اللينة وذلك بلفت أنظـارهم الى الفـروق بين بعض التراكيب حتى يكونوا على استعداد لتقبـل القواعد النحـوية مثـال ذلك مـا نراه من فـرق بين :

جـاء أصدقاؤنا ـ زرت أصدقاءنا ـ سلمت على أصدقائنا ٠

حيث الهمـزة فى المثـال الأول على الواو وفى الثانيـة مفـردة، وفى الثالث على اليـاء وكذلك الفرق بين :

يخشى ، ويرمى ، والفتى ، والعصـا ٠

فالفعـلان متشابهان شـكلا حيث اليـاء فى آخـر كل منهما رسما، ولكن نحـويا الفعـل الأول آخره الف لأن العبرة بالنطـق لا بالرسـم الاملائى ، فمـا قبـل الآخـر مفتـوح فى الأول ، ومـا قبـل الآخـر فى الفعل الثانى مكسور ، وهنا يظهر الفـرق النحوى ٠

---

(٢٦) لا غرابة فى الدعـاء بنعـل جديد فان النعال كانت من خصائص الملوك والمترفين وكانت تعد من باب المديح ومن ذلك قول النابغة مادحـا :

رقاق النعـال طيب حجزاتهم يحيون بالريحـان يوم السباسب

أمـا الاسـمان فكل منهما ثلاثى ومع ذلك فان آخـر الأول ياء ، وآخـر الثانى ألف لأنه عنـد تثنيـة الأول يقـال فتيـان وفى تثنيـة الثـانى عصـوان ، فترد الألف الى أصـلها وبذلك نكون قـد ربطنـا بين الامـلاء والنحـو عرضـا الى أن يجىء وقت الدراسـة التفصيلية لكل قاعـدة على حـدة فى سنوات الدراسـة التالية .

ثم نتدرج بالدارس بعـد ذلك الى الدراسـة المرتبطة لكل موضوعات متشابهـة ومتكاملة فنـدرس المعربات على حـدة ثم المبنيـات ثم الأدوات ثم المرفوعـات ، ثم المفاعيـل الخمسة ، ثم المنصوبات ، ثم المخفوضات ثم التـوابع ، وهكذا ننتهى بالنحـو الوظيفى الى نهـايته دون تفصـيل أو تعقيـد حيث تعطى القاعـدة نظيفـة من كل شـائبة مع التطبيقـات الفـورية عليـها ، كل هـذا بعـد أن يعطى الدارس فكـرة عن الفـرق بين النحـو والصرف وكف نشـأ كل منهما فى عجـالة ، وقبـل أن نبدأ فى توضيح كل نوع من الصـرف ننعى على هؤلاء العلماء المتخصصين(٢٧) الذين يغربون فى التعقيـد غـاية الاغـراب ويضـنون على اللغـة العربية حتى بتغيير الأمثلة الى أمثـلة تحمـل الأسـماء العربيـة متمسـكين بثقافتهم الألمـانية بعيدين كل البعـد عن **فكرة التـدرج النحـوى** وحبذا لو كانت الأمثـلة عربية أولا من لغتنـا ثم نتدرج بهـا الى اللغة الألمانية لا العكس واليـك هـذين النموذجين :

الأول : « ١ ـ سكن فى هامبورج ٢ ـ مات فى هامبورج

يرى كل منهما أن المكون الظـرفى (شـبه الجمـلة فى العربية) فى المثـال الأول مرتبـط بقوة الكلمة (الفعـل) ومن ثم فهو منصـوص

---

(٢٧) من الأسـباب التى دعت الى كتـابة هـذا البحث أن بعض الأساتذة يعرضون حتى صعبهم حتى لا يلزم عليهم او مسواهم متساهلين فكـره التـدرج كما فى هـذا المثـال وسو حتى سبين المثـال لا الحصـر .

عليه فى خطة المواقع لأنه مكمل Ergonzung ومن ثم فهو غير منصوص عليه فى خطة المواقع لأنه عنصر غير أساسى Angabe أما النموذج الثانى فهو :

(أ) زارنى هانز أمس (ب) زارنى هانز ٠

(جـ) زار هانز (د) زار هانز أمس

(هـ) زار هانز فى هامبورج (و) زار هانز أمس فى هامبورج

(ز) زار (ح) زار أمس

(ط) زار أمس فى هامبورج (ى) زارنى ٠٠٠ الخ ٠

يلاحظ هنا أن (أ) و (ب) فقط - بغض النظر عن الجملة - المدخل - وحدهما جملتان صحيحتان نحويا ، أما الجمل (ج ، ى) فهى جملة غير صحيحة نحويا ، ومن ثم فانه يعد العنصران (هانز) و (نى) الى جانب الفعل (زار) - ضرورين (اجباريين) لتكون جملة صحيحة ، نحويا ، ويستنتج من ذلك (أنهما وقفا) على الجزء من الجملة بعد حذف عنصر ما منها ، (ثم تساءلا) هل ما تزال صحيحة نحويا أو لا ثم هل عنصر الجملة المحذوف اجبارى أو لا من الناحية التركيبية »(٢٨) ان لنا وقفة نقدية على هذين النموذجين من ثلاثة وجوه :

الأول : أن فكرة التدرج من المعلوم الى المجهول هنا معدومة كلية ، فمالنا و (هامبورج وهانز) وهما ليسا من بيئتنا فهلا استبدل بهما الاسكندرية ومحمد ، وهما من وحى البيئة ومعلومان لكل دارس هنا ٠

---

(٢٨) عناصر النظرية النحوية فى كتاب سيبويه للدكتور سعيد حسن بحيرى - كلية الألسن جامعة عين شمس ص ١٩ ، ٢٠ ، ٢١٠

الثانى : ان هذا غير ملائم البتة لطلبة وطالبات فى السنة الأولى من كلية الألسن أضف الى ذلك أن لغتهم الأولى الفرنسية والثانية الانجليزية ، ولا يدرسون الألمانية ، اذ هناك قسم خاص بها .

الوجه الثالث : أن الهرم هنا مقلوب فالمفروض أن يكون هذا لطلاب الدراسات العليا قسم اللغة العربية فهم وحدهم يفهمون قوة الكلمة فى النموذج الأول والضرورة والاجبار كما فى النموذج الثانى ومع ذلك فلا نقلل من قيمة ما جاء فى النموذجين احتراما للبحث العلمى ، وان كان هناك غموض فى النص كما فى : (أنهما وقفا) و (ثم تساءلا) .

واذا كان النحو أنواعا متعددة فان الصرف كذلك ، فمنه صرف البنية ومنه الصرف التراثى ، ثم الصرف الفلسفى ... الخ .

بعد هذا النحو وتعدده هيا بنا الى الصرف وتنوعه ونعنى بالنوع الأول منه وهو صرف البنية صرف الكلمة فالصرف مقدمة ضرورية لدراسة النحو اذ هو اللبنات الأولى التى يتركب منها الأسلوب العربى (ولا نغالى اذا قلنا انه بمنزلة الولد من أبيه ومن واجب الابن أن يكون خادما ومطيعا لأبيه فالصرف خادم أمين وابن وفى للنحو والا فكيف نستطيع أن نعرف الموقع الاعرابى للفظ سيارة فى قولك : محمد راكب سيارة الا اذا عرفنا أن لفظ راكب اسم فاعل واسم الفاعل يعمل عمل الفعل ، واذا فالوظيفة النحوية لكلمة سيارة هى مفعول به لاسم الفاعل ، وبدون البنية الصرفية لكلمة راكب لا نستطيع أن نجد الموقع الاعرابى لكلمة سيارة مما قبلها ، واذا كان الصرف خادما للنحو فانه كذلك مقياس الفصاحة والمسبر الذى يعرف به البلاغيون الغث والسمين من الكلام ولذلك عابوا على قول المتنبى قوله:

فلا يبرم الأمر الذى هو حالل

ولا يحلل الأمر الذى هو يبرم

لأنه غير فصيح ، اذ اشتمل على كلمتين غير جاريتين على القياس الصرفى وهما حالل ، ويحلل ، فان القياس فيهما حال ويحل بالادغام(٢٩) ثم نتدرج من صرف البينه الى الصرف التراثى الذى فى كتب القدامى مثل الشافية لابن الحاجب وهو كتاب جامع لكل أبواب التصريف الا قليلا ، بترتيب لم يسبقه أحد اليه جمع فيها خلاصة (الكتاب) وزيدة المفصل للزمخشرى : واليك أنموذجا من الشافية بشرح العلامة الجاريردى عن الخط يقول : « الخط(٣٠) وهو دال على اللفظ وهما يختلفان باعتبار الأمم كاختلاف اللفظ العربى والفارسى والخط العربى والتركى ، واللفظ دال على الوجود الذهنى والخارجى ، وهما لا يختلفان باعتبار اختلاف الأمم فللشىء باعتبار الوجود هذه المراتب الأربع ، والمراد ههنا بيان أحكام الخط العربى فانه ليس بجار على اللفظ لأنه قد يثبت فى اللفظ مالم يكن وبالعكس كابراهيم والرحمن وككتابة الألف فى نحو (ضربوا) والواو (الربوا) ، وقد يلفظ بحرف والمكتوب غيره كالزكوة والصلوة ، وصلى وزكى فان الملفوظ ألف والمكتوب واو أو ياء وعرف الخط العربى بانه (تصوير اللفظ) المقصود تصويره (بحروف هجائية) فالهجو والهجاء والتهجى تعديد الحروف بأسمائها يقال هجوت الحروف هجوا وهجاء ، وهجيته ، كلها بمعنى واحد » أ٠ هـ ٠

والملاحظ على هذا النص أنه يتكلم عن الخط ويقصد به قواعد الاملاء ، لأن الخط العربى من الفنون الجميلة ولذا يدرس فى كلية الفنون

---

(٢٩) المنهال فى أبنية الأفعال لكاتب هذا المقال البحثى ٠

(٣٠) مجموعة الشافية من علمى الصرف والخط بشرح العلامة الجارديرى حاشية ابن جماعة الجزء الثانى ص ٢٦٤ ، ٢٦٥ ط عالم الكتب بيروت ٠

الجميلة جامعة حلوان كمادة لها شأنها ، ثم ماذا يقصد من اللفظ العربى وهل بين اللفظ العربى والخط العربى اختلاف ما ؟ وأغلب الظن أنه يعنى بالخط هنا الرسم العثمانى كما فى رسم (الربوا) (والزكوة والصلوة) بهذه الصورة ولذا فان شرح الرضى للشافية أكثر افاضة ودقة من هذا الشرح الذى معناه وقد شرح الشافية أيضا السيد عبد الله ، وشيخ الاسلام زكريا الأنصارى فأمامنا أربعة شروح لها ومن هذه الشروح يمكننا المقارنة ، **ومن هنا تأتى أهمية كتب التراث التى هى من الكنوز التى نعتز بها** • وأخيرا يأتى فى التدرج فن الصرف الفلسفى فالدكتور : كمال بشر يرى أن وضع الصرف فى مرحلة وسطى بين علم أصول اللغة وعلم النحو(٣١) ومن ثم تأتى أهمية دراسة الأصوات وقد قسموا الأصوات الى صائتة VoWels وصامته **Constants** ثم وصلوا الى ما يعرف بالفونيمات وقسموها الى مورفيم وفونيم ولكى ندرك الفرق بينهما نسوق هذين المثالين :

(أ) يقول المحمدون : الواو فى الفعل وحدة صوتية (فونيم) والواو فى الاسم وحدة كلامية (مورفيم) وبمعنى آخر الواو فى يقول من بنية الكلمة ليس لها معنى مستقل أما الواو فى (المحمدون) فهى علامة على رفع الكلمة فهى تدل على معنى •

أما الواو فى (يكتبون) فهى كلمة بذاتها اذ تدل على الجمع وهى الفاعل اعرابا وهى لجمع المذكر دلالة •

(ب) قال المحمدان : الألف فى قال وحدة صوتية أما الألف فى الاسم فهو وحدة كلامية بنفس التحليل السابق • أما الألف فى (يكتبان) فهى كلمة بذاتها اذ تدل على التثنية وهى الفاعل اعرابا وهى للمثنى دلالة •

---

(٣١) دراسات في علم اللغة ـ القسم الثانى •

وكما فعلنا بالنحو الوظيفى نتناول هنا أيضا صرف البنية **بالتدرج التفريدى** فقد درج القدامى على البدء بالميزان الصرفى ثم القلب المكانى الذى يوصلنا الى أن وزن أشياء على لفعاء ومع احتراس لما قاله القدامى فانى أرى قضية التدريج تفرض علينا أن نبدأ أولا بالأوزان الحسابية - ثم الأوزان التصغيرية ثم نصل بذلك الى الأوزان - التصريفية كتدرج هرمى فى وضعه الصحيح ٠

والمقصود بالأوزان الحسابية : أوزان الفعل الثلاثى ، وأوزان الاسم الثلاثى فهى أولى من غيرها بالبدء وفى ذلك يقول ابن جنى : « ان الأصول ثلاثة : ثلاثى ورباعى وخماسى فأكثرها استعمالا وأعدلها تركيبا هو الثلاثى وذلك لأنه حرف يبدأ به وحرف يحشى به وحرف يوقف عليه ٠٠٠ »(٣٢) ٠

* * *

(٣٢) الخصائص ١ - ٥٥ ٠

واليـك أوزان الفعـل الثلاثى وأبوابه الستة :

الأوزان	الأبـــواب (٣٣)
فعل (بفتح العين)	١ ـ فعل يفعل (بضم العين فى المضارع) مثل : نصـر ينصـر ٠
	٢ ـ فعـل يفعل (يكسر العين فى المضارع) مثل : ضرب يضرب ٠
	٣ ـ فعل يفعل (بفتح العين فى المضـارع) مثل : فتـح يفتـح ٠
فعـل (بكسر العين)	٤ ـ فعل يفعل (بفتح العين فى المضـارع) مثل : فـرح يفـرح ٠
	٥ ـ فعل يفعل (بكسر العين فى المضـارع) مثل : حسب يحسب ، ورث يرث ٠
	٦ ـ فعل يفعل (بضم العين فى المضـارع) مثل : (مهمـــل)
فعـل (بضم العين)	٧ ـ فعل يفعل (بضم العين فى المضـارع) مثل : شرف يشرف ٠
	٨ ـ فعل يفعل (بفتح العين فى المضـارع) مثل : (مهمـــل)
	٩ ـ فعل يفعل (بكسر العين فى المضـارع) مثل : (مهمـــل)

(٣٣) هـذه الأبواب مهمـة وننصح أن تدرس بعنـايـة شـديدة فأكثر أخطائنا أعلامنا (اذاعة وتلفازا) فى خطأ مجىء الفعل المضارع من الماضي نتيجـة لاهمـال هذه الأبواب الستة ٠

أمـا أوزان الاسـم الثـلاثى فهى عشرة :

حـركة الفـــاء	حركات العين الثلاثة وسـكونها
فتـح الفـــاء	١ ـ فتح فسكون مثم سهم ، وسهل ٠ ٢ ـ فتحتان مثل : قمـر ، وبطل ٠ ٣ ـ فتح فكسر مثل : كتف ، وحذر ٠ ٤ ـ فتح وضـم كعضـد ، ويقـظ وكسر العين فيـه أشـهر ٠
ضـم الفـــاء	٥ ـ ضم فسكون مثل : قفل وحلو ٠ ٦ ـ ضم ففتح مثل : صرد وحطم ٠ ٧ ـ ضمتان مثل : عنق وسرح (سريعة) ٠ ٨ ـ ضم فكسر كدئل (وهـذا الوزن قليل فى الأسـماء لأنه خاص بالمبنى للمجهول)٠
كسر الفـــاء	٩ ـ كسر فسكون مثل : حمل ونكس ٠ ١٠ ـ كسر ففتح مثل : عنب وزيم (متفرق)٠ ١١ ـ كسرتان ابل وبلز (ضخمة) ٠ ١٢ ـ كسر وضم (غير موجود لعسر الانتقال من الكسر الى الضم) (٣٤) ٠

والمفروض حسابيا : أن تكون أبواب الفعـل الثلاثى تسعة لا سـتة لأن فتح العين فى الماضى له ثلاث حالات فى المضارع الفتح والضم والكسر ، وكسر العين فى الماضى له ثلاث حـالات فى المضـارع كذلك وضم العين فى الماضى كذلك وحسب القسمة العقليـة يكون الأبواب ٣ × ٣ = ٩

(٣٤) شـذا الصرف فى فن الصرف (بتصرف) ٠

ولكن الواقع خالف القسمة العقلية لأن اللغة تعتمد على السماع والمشافهة فلم يسمع من هذه الأوزان الثلاثة الا أبواب ستة باهمال ثلاثة هى أرقام (٦) ، (٨) ، (٩) كما أسلفنا ، وكان المفروض حسابيا أيضا أن يكون عندنا اثنا عشر وزنا للاسم الثلاثى لأن حركات الفاء ثلاثة وهى الفتح والضم والكسر ويجرى ذلك فى العين ويزيد السكون والثلاثة فى الأربعة ٣ × ٤ = باثنى عشر ، ولكن الواقع اللغوى غير ذلك لأن رقم (٨) قليل ورقم (١٣) غير موجود ، ثم تتسع دائرة الأوزان تدريجيا لتشمل الأوزان التصغيرية وأصلها ثلاثى وهذه الأوزان (فعل وفعيعل وفعيعيل) كفليس ودرهم ودنينير • وضع هذه الأمثلة الخليل وقال عليها بنيت معاملة الناس وهذه الأوزان اصطلاحية وخاصة بالتصغير لأجل التقريب وهى محدودة وتجمع أوزانا مختلفة تحت وزن واحد فانت ترى أن أحيمر ومكيرم وسفيرج يجمعها الوزن التصغيرى (فعيعل) بينما الصرفى ، أفيعل ، ومفيعل ، وفعيلل وتاتى الأوزان التصغيرية فى مرتبة وسطى بين الحسابية والتصريفية لأهميتها فى رد الكلمات الى أصولها فتقول فى يد يديه ، وفى أم أميمة ودار دويره وتقول فى تصغير دم وشفة وعدة وأصلها دمى وشفو ووعد على التوالى دمى وشفهة ووعيدة ، فهو يشبه جمع التكسير من هذه الخاصية أضف الى ذلك أن التصغير وصف فى المعنى فمعنى رجيل = رجل صغير ،ثم تنفرج الدائرة لتشمل تدريجيا الأوزان التصريفية وهى كثيرة لا حصر لها لتوصلنا الى القلب المكانى(٣٥) ذى الصفة الوثيقة بالأوزان التصريفية ثم الى مجالات الفعل التصريفية

---

(٣٥) الأولى أن يلقب بالنقل المكانى لأن التغيير فيه بالنقل لا بالقلب فأيس أصلها يئس نقلت الهمزة مكان الياء ولم تقلب كما يحدث فى قلب الواو والياء الي همزة في مثل قائل وبائع وأصلها قاول وبايع •

ثم الى تصريف الأسماء فى تدرج هكذا حتى نصل الى الاعلال والابدال مع التدريبات والتطبيقات عقب كل باب يدرس ، وحبذا لو كانت فى جداول مشوقة حتى تحبب الدارس وتحفزه الى دراسة هذا الفن الجميل ، فن الصرف (٣٦) لما فيه من أوزان اختراعية لا مجال لذكرها هنا .

والآن جاء دور الضلع الثالث من مثلث اللغويات وهو العروض والقوافى (٣٧) وقد دأب المؤلفون أن يقرعوا آذان الدارسين من أول الأمر بالزحاف والعلل فيذكروا من الزحاف مثلا الخبن والخبل والخزل ، ومن العلل الحذذ والخزم . وهكذا ندخل فى دوامة مصطلحات لم يألفها الدارسون فيحكمون على العروض أحكاما مختلفة كلها منفرة من هذا العلم الذى يتصل بالشعر منبع الأحاسيس والمشاعر ومثل ذلك ما نجده أيضا من مصطلحات القافية من الرس والتأسيس والمجرى والنفاذ ، كما سنرى .

ونقصد بالشعر هنا الشعر العمودى بعيدا عن فنون الشعر الشعبى القديمة وهى الزجل والمواليا والكان وكان والقوما، وبعيدا أيضا عما يسمى بالنثر الايقاعى والبند ، والشعر الحر ، وهذان النوعان الأخيران فرعان من النثر الايقاعى المتطور الذى هو أقرب الى الشعر منه الى النثر ذاته (٣٨) .

---

(٣٦) فهو فن لا علم لأنه يحتاج الى قدرات خاصة .

(٣٧) أرجو أن نولى هذا العلم عناية خاصة ، وبخاصة فى الدراسات العليا حيث انه لم تصادفنى حتى الآن رسالة ماجستير أو دكتوراه فى هذا الفن (فن العروض والقوافى) وهذا الفن وان كانت تتنازعه فروع اللغة العربية جميعها فان للغويات فيه القدح المعلى .

(٣٨) فن التقطيع الشعري للدكتور / صفاء خلوصي منشورات مكتبة المثنى ببغداد .

وانطلاقا من فكـرة التـدرج أرى :

أن نطلق على علم العروض والقافية (علمى الخليل) لستة أسباب :

أولا : تخليـدا لاسـم ذلك الرجل العربى المسلم ابن عمان (سلطنة عمان الآن) الذى غاضت شهرته بشهرة تلميذه سيبويه الفارسى المسلم ، والحمد لله فكلاهما مسلمان ، والاسلام دين التوحيد أولا والتوحد ثانيا لا فـرق فيه بين عـربى وغير عـربى .

ثانيـا : هما علمـان لا علم واحـد وقد كانت كلية اللغـة العـربية فيما سبـق وقبـل أن تلغيهمـا فى الخمسينات تدرس العـروض للسنة الأولى والقافية للسنة الثانيـة .

ثالثـا : الاختصـار فى المصطلحات مطلوب فما بالك بتسمية العلوم وعنونتها فـ (علما الخليل) أخصر بكثير من (علم العروض والقافية) .

رابعـا : أنهما علمان متلازمان لا غنـاء لأحدهما عن الآخر اذ هما وجهـان لعملة واحـدة فمثلا اذا أراد شـاعر أن يعـارض شـاعرا آخر فلابد من أمور ثلاثة الوزن والقافية والعـروض ولذلك عيب على شـوقى عند معارضته للبردة أنه أتى بالقافية والعروض ولم يلتزم بالبحر .

خامسـا : عنصر التشويق فاذا ذكر العنـوان الجـديد : (علمـا الخليـل) تساءل النـاس والدارسـون والطـلاب مـا هـذان العلمان ؟ ومن هـو الخليل ؟ وفى ذلك احيـاء متجـدد للعلمين وصاحبهما .

سـادسا : علمـا الخليـل كلمتان وعلم العـروض والقافيـة أربع كلمـات .

وقبـل البـدء فى مصطلحات الزحـاف والعلـل وفى الفـرق بين المعاقبـة والمراقبـة والمكانفة وغيرها (مـع أحـترامى الشـديد لهـذه المصطلحات التي هي تراثنـا بل كنوزنا)نعطي الدارس بعض أمثلة

لتذوق الوزن الشعرى ذى الجرس الموسيقى والقراءة السليمة لكلماته اعرابا ودلالة والبك الحالات التى ترتبط بهذا الوزن وتلك القراءة معا(٣٩) .

١ - لكى يستقيم وزن البيت ولا يكون منفرا للسمع يجب تمييز الحرف الذى لا ينبغى تشديده فى النطق مثل قول الشاعر :

حطمت اليراع فلا تعجبنى وعفت البيان فلا تعتبى

فالوزن السليم ذو الجرس الموسيقى يقضى بألا تشدد الطاء فى (حطمت) ولو شددت لانكسر البيت مع أن اللغة تجيز الصورتين .

٢ - وعلى عكس ما سبق أحيانا يقتضى وزن البيت أن ننطق بالحرف مشددا واذا نطقنا به غير مشدد انكسر البيت مع أنه - لغويا - يجوز ترك تشديده وذلك مثل قول الشاعر :

يشرب الكأس ذو الحجا ويبقى

لغد فى قرارة الكأس شيا

لم يكن لى غد فأفرغت كأسى

ثم حطمتها على شفتيا

فكلمة (يبقى) فى البيت الأول يمكن - لغويا - قراءتها بسكون الباء وكسر القاف ويمكن قراءتها بفتح الباء وتشديد القاف مع كسرها ولكن الوزن الشعرى يحتم قراءتها بالتشديد ، وكذلك كلمة أو جملة (حطمتها) فى البيت الثانى يمكن - لغويا - قراءتها

---

(٣٩) وهذا التذوق يرشدنا من أول الأمر الى تعيين البحر الذى منه القصيدة لا سيما وهناك تشابه بين البحور كما في تشابه الكامل اذا أضمرت تفعيلاته بالرجز .

مفتوحة الطاء بدون تشديد ويمكن قراءتها مفتوحة الطاء مع التشديد وهذا ما يتطلبه وزن البيت(٤٠) .

٣ - الضمائر (أنتم - كم - هم) ساكنة الميم ولكن الوزن الشعرى - أحيانا - يستدعى ضم الميم ومدها باشباع الضمة مثل :

قول الشاعر :

فاقسم أن لو التقينا وانتم

لكان لكم يوم من الشر مظلم

وقول بعضهم :

شكرت جميل صنعكم بدمعى

ودمع العين مقياس الشعور

وقول آخر :

واخوان تخذتهم دروعا

فكانوها ولكن للأعادى

وخلتهم سهاما صائبات

فكانوها ولكن فى فؤادى

٤ - ياء المتكلم يجوز - نحويا - النطق بها ساكنة أو مفتوحة ، ولكن الوزن الشعرى يرشدنا بل ويحتم علينا - أحيانا - نطقها باحدى الصورتين ولو نطقت بالصورة الأخرى لانكسر البيت وذلك مثل :

انى لتطربنى الخلال كريمة طرب الغريب بأوبة وتلاقى

فالياء فى كلمتى (انى لتطربنى) يجب النطق بها ساكنة ،

---

(٤٠) صفوة العروض للأستاذ / عبد العليم ابراهيم .

ولو حركت بالفتح لانكسر البيت أمـا اليـاء فى البيت الآتى :

ومـا لى الا آل أحمـد شـيعة ومالى الا مذهب الحـق مذهب

فيجب فتحها ، ولو نطق بها ساكنة لانكسر البيت(٤١) ٠

٥ ـ الضمير (هو) مضموم الهـاء ، والضمير (هى) مكسـور الهاء ولكن الوزن الشـعرى يحتم ـ أحيانا ـ تسكين الهـاء فيهـما ولو حركت لانكسر البيت مثل :

أمن سرق الخليفـــة وهـو حى يعف عن المـلوك مكفنينـــا

ومثـــل :

مـررت على المروءة وهى تبـــكى فقلت عـــلام تنتحب الفتاة

٦ ـ همزة القطع يجب ـ صرفيا ـ النطق بها لكن استقامة الوزن الشعرى أحيانا تستدعى اسـقاطها من النطق مثل :

ولـو أن الحيـاة تبقى لحى لعـــدنا أضلنـا الشجعـــانا

٧ ـ من الأسـماء مـا منع من الصرف ، ولكن الوزن الشـعرى يحـتم تنوينها أحيـانا ولهـذا تنـون (أحابيل) وهى من الجمع الأقصى فى قول الشاعر :

ولهم أحـــابيل اذا ألقـوا بهـــا
قنصـوا النهى فاسـيرهم مخبـول

٨ ـ كلمة (لكن) تصـلح أن تكون من أخـوات (ان) وأن تكـون عاطفـة ، ولكن الجرس الموسيقى هو الذى يرشـد القـارىء الى النطق السليم فمن النـوع الأول : قول الشاعر :

---

(٤١) المرجع السابق ٠

وما كنت ممن يدخل العشق قلبه

ولكن من يبصر جفونك يعشق

ومن النوع الثانى :

لقد كان حلما أن نرى الشرق وحدة

ولكن من الأحلام ما يتوقع

٩ - والوزن الشعرى هو الذى يعين نوع نون التوكيد ثقيلة أو خفيفة فمثال الثقيلة :

لا تمدحن أمرأ حتى تجربه

ولا تذمنه من غير تجريب

ومثال الخفيفة :

لا يبعدن قومى الذين همو

سم العداة وآفة الجزر(٤٢)

١٠ - بعض الكلمات تجيز اللغة ضبطها بصورتين مثل (الكذب) بفتح الكاف وكسر الذال ، أو كسر الكاف وسكون الذال ، والوزن الشعرى هو الدليل الى النطق السليم وذلك مثل :

ودونكم مثلا أوشكت أضربه

فيكم وفى مصر ان صدقا وان كذبا

بفتح الكاف وكسر الذال ، ومثل قول حافظ فى وصف بعض الجرائد بالضبط الثانى :

يحلو بها الكذب لأربابها كأنها أول ابريل

---

(٤٢) الجزر بضم الجيم والزاى جمع جزور .

وهكذا يكون الوزن الشعرى هو المسبر الذى يوصلنا الى النطق السليم لغويا ونحويا وصرفيا مع التسامح أحيانا مراعاة لموسيقى الشعر . ثم يصل بنا التدريج الى أن نصنف بحور الشعر فنجعلها فى مجموعات فمن مجموعة البحور السائدة والمسيطرة على الشعر العربى وهى الطويل والبسيط والكامل .

(٢) الى البحور ذات التفصيلات المتشابهة والمتكررة فى كل شطر وهى : الكامل والهزج والرجز والرمل والمتقارب والمتدارك .

(٣) الى البحور ذات التفعيلتين وهى المضارع والمقتضب والمجتث والهزج والأخير التفعيلتان فيه متفقتان فى كل شطر .

(٤) ثم الى البحور المقطعة (أى التى يسهل تقطيعها بل وتطرب لتتقطيعها وتهتز) كالوافر والمتقارب والمتدارك والرمل :

فمن الأول :

سلوا قلبى غداة سلا وتابا

لعل على الجمال له عتابا

ومن الثانى :

تحنن على هداك المليك فان لكل مقام مقالا

ولا تأخذنى بقول الوشاة فان لكل زمان رجالا

ومن الثالث :

كرة رميت بصوالجة فتلقفها رجل رجل

ومن الرابع :

قالت الخنساء لما جئتها شاب منى بعض هذا واشتهب

(٥) ثم أخيرا شبه المهجورة وهى المجتث (وهو مقتطع ومأخوذ من بحر الخفيف بتقديم (مستفع لن) على (فاعلاتن) والمقتضب (اذ هو مقتضب من المنسرح لكن بتقديم مفعولات على مستفعلن) ، والمضارع (قال الخليل سمى مضارعا لمضارعته المقتضب فى أن أحد جزءية رفموق الوتد)(٤٣) ، وأجزاؤه بعد الجزء مفاعلين فان لاتن وهو يضارع أيضا الخفيف فى رسم مستفع لن مفصولة اذ فيه فاع لاتن مفصولة أيضا من فاعلاتن) هذه ثلاثة الأبحر غير المطروقة الى حد ما أين هى من بحر الهزج الذى هو عندهم ضرب من الأغانى وأين هى كذلك من بحر الرجز الذى يستعمل تاما ووافيا ومجزوا ومشطورا ومنهوكا حتى عد الرجز وحده قسيما ومعادلا ... للخمسة عشر بحرا فيقال لهما مقترنين **الأشعار وارجاز** عند الفهرسة ، لمؤلف أو بحث ، ثم يأخذنا (سلم) التدريج الى جعل علمى الخليل (الى أهدى سبيل ان شاء الله) مقرونين ذكرا وأنثى(٤٢) . فى عقد واحد فعند تناول بيت من الشعر نتناوله وعروضا وقافية من كل جوانبه دفعة واحدة ، وقديما كانت كلية اللغة العربية (الأم) فى أول الخمسينات تجعل العروض فى السنة الأولى، والقافية فى السنة الثانية كما أسلفنا، وانتهت بذلك (لانعدام خاصية التدريج) الى حذفهما معا حوالى الستينات كلية أى أصبحت كلية اللغة العربية مهد لغة الضاد بدون ضاد **موضوعا** (بحذفها من مناهجها لعلمى الخليل) ، **وشكلا** (باهمالها للشارة « البادج »(٤٥) التى كانت تزين صدور الطلاب يومها)

---

(٤٣) الكامل فى العروض والقوافى للدكتور محمد قناوى .

(٤٤) نريد مجرد التزاوج بينهما لا الزوجية لأن العروض مؤنثة مثل القافية .

(٤٥) كانت الشارة أو الرمز لهذه الكلية ضادا مشعة ، أى ضادا محوطة باشعة الشمس رمزا لقوة الشمس بحرارتها ودفئها واشعاعاتها وكذلك اللغة العربية بالنسبة الى كل العلوم دينية وغير دينية .

هذا بينما كانت كلية دار العلوم تكتب على لافتة قسم اللغويات (قسم النحو والصرف والعروض) ولا ضير فبذور كلية دار العلوم من الأزهر الشريف(*) ، ولكن الله قد هيأ لعلمى الخليل من يبعثهما من رقادهما مرة ثانية ، بل وأصبح التركيز عليهما فى رسائل الماجستير الدكتوراه عند المناقشة شديدا ، وحامل هذا اللواء هو الأستاذ الدكتور / ابراهيم عبد الرازق البسيونى ، وهيأ لهما كذلك من يقرنهما معا كما فعل الأستاذ الدكتور محمد السعدى فرهود ، فماذا يضيرنا بالله لو جعلنا البيت عند الدرس يشمل كلا من العروض والقافية حتى لاينسى علم العروض القافية أو تنسى القافية العروض مع الاختصار فى الوقت والجهد واليك نموذجا لهذا المزج :

يوشك من فر من منيته فى بعض غراته يوافقها

يوشك من	فـررمن م	راتهيى	فى بعض غر	راتهيى	وافقهـا
مستعلن	مفعلات	مستعلن	مستفعلن	مفعلات	مستعلن

فالبيت من بحر المنسرح ويلاحظ كثرة الطى (حذف الرابع الساكن) فخمس من تفعيلاته الست مطوية(٤٦) ثم يأتى دور القافية هكذا :

(*) حمدا لله فقد رأيت بعض المتخصصين فى اللغويات يرجع الأمور الى نصابها ، ويضم العروض الى أخويه من ذلكم د. عبد النعيم على محمد على ، اذ نص على ذلك فى صدر كتابه الأسماء العاملة .

(٤٦) هذا البيت يجمع بين العظة أولا ، وكثرة الطى ، فلم تسلم فيه الا تفعيلة واحدة ثانيا ، وكثرة حركات القافية وحروفها ثالثا ، ومن هنا كان اختياره .

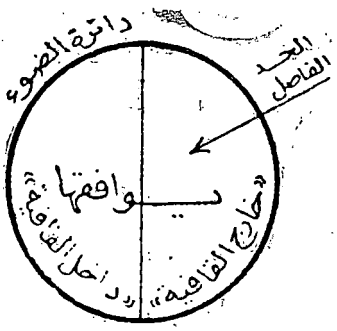

وقد جمعت القافية فى هـذا البيت بين : **الرس** : وهو حـركة الواو، **والتاسيس** : وهو الألف الأولى ، **والمجـرى** : حـركة القاف ، **والنفـاذ** : حـركة الهـاء ... **والخـروج** : الألف بعد الهـاء ، **والوصـل** : الهـاء التى تعقب القـاف ، **والـروى** : القـاف ، وتبنى القصيـدة على هـذا الحـرف وتنسب اليـه .

ثم **الاشباع** : حـركة الفـاء ، والفـاء هنا دخيل بين ألف التأسيس والـروى .

ويوم أن ننجح فى مـزج العـروض والقافية معـا فى درس واحد تكون قدوصلنا الى الغـاية فى فهم فـرع هام من أفـرع اللغويات بعـد أن صحبنا التدريج فى علومها الثلاثة من نحو وصـرف وعروض وقافية من خلال هـذه الرحلة التى قطعناها بالتعلم من أسلوب القـرآن الكريم أولا ومن علمـاء النفس ثانيـا ، ثم فى نهاية المطاف مع اللغويات بيت القصيد ولا أجد ما أختم به هـذا البحث خيرا من الحكمة القائلة (خير الثمـار ما ينضج ببطء) والبطء هنا هو التدريج بعينـه الذى قدمنـاه ، والثمـار فى هـذه الحكمة تشمـل ثمـارا ثلاثة تلك التى ذات جـرم كالفاكهة (من مانجو ومـوز .. الخ) وتلك الثمـار المحسوسة التى تكون

نتيجة جهد عضلى ، وأخيرا أخيرها ثمار(٤٧) العقل المستنير ، ونتاج الفكر المستأنى ، والقلب البصير ، نسأل الله أن ينير بصائرنا ويبصرنا الى صراطه المستقيم ، وعلى الله قصد السبيل .

دكتور/عبدالرؤوف محمد عثمان

أستاذ اللغويات المساعد

بكلية الدراسات الاسلامية والعربية

بنين - جامعة الأزهر

* * *

(٤٧) أخيرها هنا على غير قياس لأن خير وشر وحب تأتي في التفضيل بدون همزة ولكن قد ورد ما ذكرناه هنا فى قول القائل : بلال خير الناس وابن الأخير * والله أعلى وأعلم .

ثبت لأهم المصادر والمراجع
حسبما وردت فى البحث (٤٨)

١ ـ القرآن الكريم ٠

٢ ـ فتح البارى شرح صحيح البخارى ـ للعلامة أحمد بن على بن حجر العسقلانى ٠

٣ ـ الموجه الفنى ـ للأستاذ عبد العليم ابراهيم ٠

٤ ـ أصول علم النفس ـ للدكتور أحمد عزت راجح ٠

٥ ـ حاشية الصبان على الأشمونى ـ ط٠ دار احياء الكتب العربية ٠

٦ ـ القياس فى النحو ـ للدكتورة منى الياس ، ط٠ دار الفكر ٠

٧ ـ الرد على النحاة لابن مضاء :
تحقيق : د٠ شوقى ضيف ، ثم د٠ محمد ابراهيم البنا ٠

٨ ـ الايضاح فى علل النحو للزجاجى ـ تحقيق : د٠ مازن المبارك ٠

٩ ـ المعجم الوسيط ٠

١٠ ـ عناصر النظرية النحوية فى كتاب سيبويه :
للدكتور سعيد حسن بحيرى ٠

١١ ـ مجموعة الشافعية من علمى الصرف والخط بشرح العلامة الجار ـ بردى حاشية ابن جماعة ، الجزء الثانى ، ط٠ عالم الكتب ـ بيروت ٠

١٢ ـ دراسات فى علم اللغة للدكتور كمال بشر ـ القسم الثانى ٠

١٣ ـ الخصائص لابن جنى ـ الجزء الأول ٠

١٤ ـ شذا العرف فى فن الصرف ٠

١٥ ـ فن التقطيع الشعرى للدكتور صفاء خلوصى :
منشورات مكتبة المثنى ـ بغداد ٠

١٦ ـ صفوة العروض ـ للأستاذ عبد العليم ابراهيم ٠

١٧ ـ الكامل فى العروض والقوافى ـ للدكتور محمد قناوى ٠

هذا وبالله التوفيق

---

(٤٨) لم نذكر هنا بعض كتب للباحث ذكرت فى ثنايا البحث وكذا بعض الدوريات حتى لا نطيل ، وعملا بهذا القول العظيم :
(حسبك من الزاد ما بلغك المحل) ٠